بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 39 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:02\05\2023 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

وصل بنا الكلام في الآية الحادية عشر إلى ما ترتب على فعل الأبرار، وتقدم الأمر الأول، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ﴾ ووصل إلى الأمر الثاني: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورا﴾

التلقية، تقول: لقاه بكذا أي: استقبله بكذا. فهذه الطائفة بمجرد خروجها من هذه الدنيا ومن قيودها المادية، يواجههم في بداية أمرهم الاستبشار بما يظهر علاماته على قسمات الإنسان وبما يظهر على قلبه، فالنظارة من الأمور التي تظهر على قسمات وجه الإنسان، والسرور والفرح من الأمور التي يكون محلها قلب الإنسان.

هنا يوجد جملة من البحوث لابد أن نتوقف عندها:

البحث الأول: كلمة ﴿سُرُورا﴾.

يظهر من جملة من الباحثين قديماً، أن لفظة السرور تختلف عن لفظة الفرح، فالشيخ عبدالله الأنصاري الهروي -والذي هو من العرفاء- يذكر في كتابه منازل السائرين، أن السرور هو الفرح الخالص الذي لا يشوبه نكد وغصة وهم وغم، بخلاف الفرح.

كما يأتيني مال لشراء منزل، وهذا موجب للفرح، ولكن عندما أذهب إلى السوق لأشتري المنزل أجد هناك صعوبة، فهذا فرح يشوبه غصة نكد. بينما السرور هو الشيء الخالص الذي لا يشوبه تلك المنغصات.

ورتب على ذلك أن الآيات الكريمة استعملت الفرح في شؤون الدنيا، واستعملت السرور في شؤون الآخرة. فالفرح والسرور كلاهما يرتبطان ببهجة القلب، غاية الأمر إحداهما خالصة والأخرى مشوبة.

التلمساني والكاشاني باعتبار أنهما من أبرز شراح كتاب منازل السائرين عندما وصلا إلى هذا المقطع من كلام الأنصاري أكدا عليه، وذكرا الآيات القرآنية التي استعمل فيها الفرح لأمور الدنيا، واستعمل فيها السرور لأمور الآخرة.

فالسرور بنظرهما استعمل في القرآن في موضعين، أحدهما في هذه الآية المباركة: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورا﴾ والموضع الآخر في سورة الانشقاق: ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُورا﴾[1] والحديث في هذه الآية عن الآخرة.

بخلاف الفرح، فالفرح استعمل في القرآن الكريم في جملة من الآيات في أمور الدنيا، وحتى لو كان الكلام عن شأن من شؤون الآخرة فتذكر الآيات أنه في الدنيا كان فرحاً.

لكن هذه الاستفادة إن كان شاهدها هو الاستعمال القرآني فلا نوافق عليه؛ لأن كلاً من الفرح والسرور تبادلا في القرآن الكريم الموقع، مثلاً: نلاحظ في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَرِحينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه﴾[2] فاستعملت كلمة الفرح في شؤون الآخرة. وكذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[3] بما أعدّ لهم من الجزاء.

والسرور أيضاً ورد في القرآن الكريم في أحوال الدنيا، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كانَ في أَهْلِهِ مَسْرُورا﴾[4].

إذاً إذا كان مجرد أن السرور استعمل في بعض الآيات في شؤون الآخرة، والفرح استعمل في بعض الآيات في شؤون الدنيا، فهذا لوحده غير كاف لبيان الفارق الذي ذكره؛ لأنه عندنا آيات انعكس فيها الأمر.

هذا إشكال سجله على هؤلاء ابن القيم في شرحه لمنازل السائرين، لكن يمكن أن نتوقف عند هذه الأمثلة التي ذكرت.

تارة يكون الحديث عن إنسان غافل في هذه الدنيا، لا همّ له بالآخرة، فلو فرضنا أن كلمة السرور تستعمل للبهجة غير المشوبة، فيمكن حينئذ في مقام التعيير والتوبيخ أن تستعمل في حق الغافل في

---

[1] الانشقاق: 9
[2] آل عمران: 170
[3] يونس: 58
[4] الانشقاق: 13

هذه الدنيا، هذا الإنسان الغافل في هذه الدنيا، والذي لا يهمه إلا الملذات، نسي ما يمكن أن ينكد عليه، فاستعملت له كلمة السرور، فقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ كانَ في أَهْلِهِ مَسْرُورا﴾[5] لو فرغنا في فقه اللغة على أن مسرور والسرور تستعمل في البهجة غير المشوبة، فتكون الآية الشريفة في غاية البلاغة، أن الله سبحانه وتعالى اختار مفردة السرور لكونها في المقام أكثر توبيخاً وتعييراً، أنك أيها الإنسان الغافل في تلك الفرصة وفي تلك الدار التي ينبغي أن تكون مزرعة للآخرة كنت في غفلة، كنت ساكناً إلى ملذاتك الآنية، ولم تلتفت إلى أنه سوف يأتي يوم ينكَد عليك، فكان شعورك هو شعور المسرور لغفلتك، فتكون الآية أكثر إيلاما وأكثر توبيخاً، أي مجرد استعمال السرور في حالة الدنيا لا ينفي ما ذكره الشيخ عبدالله الأنصاري.

نعم غاية الأمر مجرد أن السرور استعمل في الآيتين -آية الدهر وآية الانشقاق- في أمر الآخرة الذي يكون السرور فيه غير مشوب بالنكد، كما يستفاد في مثل قوله تعالى: ﴿لا فيها غَوْلٌ﴾[6] عندما تتكلم الآية عن خمر الجنة، فخمر الجنة ليست مثل خمر الدنيا، فمن يشرب الخمر في الدنيا يقع بعدها في السكر وألم الرأس وحالة الإغماء وفيما يمكن أن يصدر منه من أفعال سيئة، فهو منغص فيها. بينما خمور الجنة ليست من هذا القبيل ﴿لا فيها غَوْلٌ﴾[7].

فلابد أن نثبت أنه في فقه اللغة هاتان المفردتان يوجد بينهما تفاوت، وقد يكون إثبات ذلك من تتبع الكلام البليغ، والذي على رأسه هو القرآن الكريم. لكن كان على الشراح مثل التلمساني والكاشاني أن يبينا ذلك، ولا يكفي أن نستشهد لهذا الفرق بهذه الآية المباركة وبالآية الواردة في سورة الانشقاق.

إذاً هذا البحث لم يعط حقه، لنا وقفة أخرى معه.

---

[5] الانشقاق: 13
[6] الصافات: 47
[7] الصافات: 47